

قصص الأنبياء

قال إِبْنُ تَعَالَى في سورة الفرقان : { وعادا وثمود وأصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا * وكلا ضربنا له الأمثال وكلا تبرنا تتبيرا } .

وقال تعالى في سورة ق : { كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود * وعاد وفرعون وإخوان لوط * وأصحاب الأيكة وقوم تبع كل كذب الرسل فحق وعيد } .

وهذا السياق والذي قبله يدل على أنهم أهلكوا ودمروا وتبروا وهو الهلاك .

وهذا يرد اختيار ابن جرير من أنهم أصحاب الأخدود الذين ذكروا في سورة البروج لأن أولئك عند ابن إسحاق وجماعة كانوا بعد المسيح عليه السلام وفيه نظر أيضا .

وروى ابن جرير قال : قال ابن عباس : أصحاب الرس أهل قرية من قرى ثمود .

وقد ذكر الحافظ الكبير أبو القاسم ابن عساكر في أول تاريخه عند ذكر بناء دمشق عن تاريخ أبي القاسم عبداً بن عبداً بن جرداد وغيره أن أصحاب الرس كانوا بحضور فبعث إِبْنُ إِلِيهِ نبيا يقال له حنظلة بن صفوان فكذبوه وقتلوه فصال عاد بن عوض بن إرم ابن سام بن نوح وولده من الرس فنزل الأحقاف وأهلك إِبْنُ أَصْحَابِ الرس وانتشروا في اليمن كلها وفشوا مع ذلك في الأرض كلها حتى نزل جبرون بن سعد بن عاد بن عوض بن إرم بن سام بن نوح وبني مدينتها وسماها جبرون وهي إرم ذات العماد وليس أعمدة الحجارة في موضع أكثر منها بدمشق فبعث إِبْنُ هُودِ بن عبد إِبْنِ رباح بن خالد بن الحلود بن عاد إلى عاد يعني أولاد عاد بالأحقاف فكذبوه فأهلكهم إِبْنُ D .

فهذا يقتضي أن أصحاب الرس قبل عاد بدهور متطاولة فإِبْنُ أَعْلَم .

وروى ابن أبي حاتم عن أبي بكر بن أبي عاصم عن أبيه عن شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس قال : الرس بئر بأذربيجان وقال الثوري عن أبي بكر عن عكرمة قال : الرس بئر رسوا فيها نبيهم أي دفنوه فيها .

قال ابن جريج : قال عكرمة : أصحاب الرس بفلج وهم أصحاب يس وقال قتادة : فلج من قرى اليمامة .

قلت : فإن كانوا أصحاب " يس " كما زعمه عكرمة فقد أهلكوا بعامة قال إِبْنُ تَعَالَى في قصتهم : { إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم خامدون } وستأتي قصتهم بعد هؤلاء .

وإن كانوا غيرهم وهو الظاهر فقد أهلكوا أيضا وتبروا وعلى كل تقدير فينا في ما ذكره ابن جرير .

وقد ذكر أبو بكر محمد بن الحسن النقاش : أن أصحاب الرس كانت لهم بئر ترويههم وتكفي

أرضهم جميعا وكان لهم ملك عادل حسن السيرة فلما مات وجدوا عليه وجدا عظيما فلما كان بعد أيام تصور لهم الشيطان في صورته وقال : إني لم أمت ولكن تغيبت عنكم حتى أرى صنيعكم وفرحوا أشد الفرح وأمر بضرب حجاب بينهم وبينه وأخبرهم أنه لا يموت أبدا فصدق به أكثرهم وافتتنوا به وعبدوه فبعث الله فيهم نبيا فأخبرهم أن هذا شيطان يخاطبهم من وراء الحجاب ونهاهم عن عبادته وأمرهم بعبادة الله وحده لا شريك له .

قال السهيلي وكان يوحى إليه في النوم وكان اسمه حنظلة بن صفوان فعدوا عليه فقتلوه وألقوه في البئر فغار ماؤها وعطشوا بعد ريهم ويبست أشجارهم وانقطعت ثمارهم وخربت ديارهم وتبدلوا بعد الأنس بالوحشة وبعد الاجتماع بالفرقة وهلكوا عن آخرهم وسكن في مساكنهم الجن والوحوش فلا يسمع ببقاعهم إلا عزيف الجن وزئير الأسود وصوت الضباع .

فأما ما رواه - أعني ابن جرير - عن محمد بن حميد عن سلمة عن ابن إسحاق عن محمد بن كعب القرظي قال : قال رسول الله ﷺ : [إن أول الناس يدخلون الجنة يوم القيامة العبد الأسود] وذلك أن الله تعالى بعث نبيا إلى أهل قرية فلم يؤمن به من أهلها إلا ذلك العبد الأسود ثم إن أهل القرية عدوا على النبي فحفروا له بئرا فألقوه فيها ثم أطبقوا عليه بحجر أصم قال : فكان ذلك العبد يذهب فيحتطب على ظهره ثم يأتي بحطبه فيبيعه ويشترى به طعاما وشرابا ثم يأتي به إلى تلك البئر فيرفع تلك الصخرة ويعينه الله عليها ويدلى إليه طعامه وشرابه ثم يردّها كما كانت .

قال : فكان كذلك ما شاء الله أن يكون ثم إنه ذهب يوما يحتطب كما كان يصنع فجمع حطبه وحزم حزمته وفرغ منها فلما أراد أن يحتملها وجد سنة فاضطجع فنام فضرب الله على أذنه سبع سنين نائما ثم إنه هب فتمطى فتحول لشقه الآخر فاضطجع فضرب الله على أذنه سبع سنين أخرى ثم إنه هب واحتمل حزمته ولا يحسب أنه نام إلا ساعة من نهار فجاء إلى القرية فباع حزمته ثم اشترى طعاما وشرابا كما كان يصنع ثم إنه ذهب إلى الحفيرة إلى موضعها الذي كانت فيه يلتسمه فلم يجده وقد كان بدا لقومه فيه بداء فاستخرجوه وآمنوا به وصدقوه .

قال : فكان نبينهم يسألهم عن ذلك الأسود ما فعل فيقولون له ما ندري ؟ حتى قبض الله النبي عليه السلام وهب الأسود من نومته بعد ذلك فقال رسول الله ﷺ : [إن ذلك الأسود لأول من يدخل الجنة] .

فإنه حديث مرسل ومثله فيه نظر ولعل بسط قصته من كلام محمد بن كعب القرظي والله أعلم .

ثم قد رده ابن جرير نفسه وقال : لا يجوز أن يحمل هؤلاء على أنهم أصحاب الرس المذكورون في القرآن قال : لأن الله أخبر عن أصحاب الرس أنه أهلكهم وهؤلاء قد بدا لهم فآمنوا بنبيهم اللهم إلا أن يكون حدث لهم أحداث آمنوا بالنبي بعد هلاك آبائهم والله أعلم .

ثم اختار أنهم أصحاب الأخدود وهو ضعيف لما تقدم ولما ذكر في قصة أصحاب الأخدود حيث

توعدوا بالعذاب في الآخرة إن لم يتوبوا ولم يذكر هلاكهم وقد صرح بهذا أصحاب الرس و
تعالى أعلم .

* * *